

عبد العزيز بن عبدالله لماذا التعريب ؟

حضرات السادة :

احيكم باسم مكتب تنسيق التعريب ، المكتب الذي شغل نفسه والعالم العربي طوال عشر سنوات في اعداد معاجم علمية بلغات ثلاث هي الفرنسية والانكليزية والعربية ، ليقدّم انى الجيل الناشئ ما يعينه على متابعة العلوم باللغة العربية ثم الرجوع الى اللغات الاخرى ان شاء للملاحقة التطور العلمي بلغته الاصيلة .

وقد يتساءل المشتكون عن الدواعي لهذا العمل الّصني فيقولون: لماذا التعريب ؟ لماذا لا نأخذ العلم من منبعه بلغته الاولى التي وضع فيها ؟ لماذا نتعب انفسنا بنقله الى اللغة العربية ثم نعود فنحمل الطالب على العودة الى تلك اللغة التي نقل عنها ليتابع درسه وبحسه ؟

لقد وجدت ان التساؤل الاول (لماذا التعريب ؟) مندمج تمام الاندماج في التساؤل الاخر (اللغة العربية والتعريب) ولذلك آتت عرضهما معا في اطار واحد . ولنعود الى التساؤل الاول لتجد جوابه لدى المرين الذين يظلمون بتثقيف الجيل بتجديد ، ولنصعد معهم الدرجة الاولى فهم أجدر من يلجأ اليه في هذا الموضوع التعليمي - التربوي في آن واحد . انهم يؤكّدون ان التعليم بلغة اجنبية مهما كان سهلا وبسطا لا بد ان يأخذ من التلهيد جهدين معا ، الجهد الاول في محاولة تفهم معاني الالفاظ والمصطلحات الجديدة والتي قد تتداخل احيانا فتتفقد عليه مفاهيمها ويضيع بذلك وقتنا مهما كان قصيرا فهو وقت مقتول على أي حال . اما الجهد الثاني الذي سيبدله التلميذ فهو في حفظ هذه المفاهيم واستذكارها لتوسيع آفاق ثقافته فيها . . بينما لو كانت هذه الدروس تلقى عليه بلغته التي يتحدث بها ويفهمها لاتفقد احد الجهدين وصب كل قوته على الاحاطة بالموضوع ، فرسخ في ذهنه وتملك من قلبه فلن ينساه من بعد حتى ولو أهمله الى زمن طويل .

وجواب المرين الاختصاصيين هنا فيه شيء كثير جدا من الصحة ولا يفتح فيه قول المنكرين القائلين بانه انما يتعلم باللغة الفصحى، وهذه اللغة نفسها بعيدة عنه بعد اللغة الاجنبية ، فهو في كلنا الحاليين مضطر الى بذل جهدين لا جهد واحد ، والواقع ان هذا التشكك من عمل اعداء العروبة الذين يريدون امانة لغة القرآن الكريم واحياء اللغات العامية للتفريق ما بين البلاد العربية وجعلها على غرار اللغات اللاتينية كالفرنسية واليطالية والاسبانية والبرتغالية .

وهل يرتاح المستعمرون من العرب الا اذا فرغهم هذا التفريق؟ اني لا ادعى هذه الدعوة ايها السادة بسبب عاطفي ، ولو ان عاطفة العروبة والاسلام تسيل مع دماتنا وتنساب في عروقنا وتفذي مطامحنا وامالنا باستمرار . كلا فاذا كان للعاطفة من نصيب في هذه الدعوى فان فيها كثيرا من التعقل والهدوء . فلقد اثبت لنا التاريخ القريب والبعيد ان عمل المستعمرين والمبشرين وخريهم لا يتناول الارض والبناء والزراع والمعامل والمدن ، بل يتغلغل الى ابعاد من ذلك بكثير ، انه يحاول التسلل الى ما وراء المادة ويصيب العقيدة في اعماقها ، ولقد اذرك هؤلاء ان العرب ما داموا متمسكين بقرانهم متعلقين بلغة دينهم فانه لا سبيل الى السيطرة عليهم وامانهم . ولذلك فانهم لا يكفون عن مهاجمة هذه اللغة هجوما مركزا مدروسا ، فتارة يدعون ان قواعدها صعبة لا يمكن حفظها مع ان قواعد اي لغة ليس اسهل منها بكثير بل ان قواعد اللغة الالمانية والروسية من الصعوبة بحيث لا يمكن ادراكها الا بجهد طويل وزمن اطول ولا اتحدث عن قواعد الصينية واليابانية وما شابهها لئلا يقال : هذا تعجيز .

وتارة ينشرون اقوال بعض المفرضين على اوسع نطاق كقول احد المستشرقين بعد ان تعلم اللغة العربية : لو طلب الي ان اقطع

القارة الافريقية بطولها من الجنوب الى الشمال مشيا على قدمي لسيتها وما اعدمت على تعلم اللغة العربية نانية فانها اصعب من ذلك بكثير . هل ترون ايها السادة في هذا القول تشبها من منطق؟ الا برونه بحاملا مضموما ؟ الا تلاحظون بان الذي ينشر مثل هذا القول لا يمكن الا ان يكون حافدا كريها ؟

وتارة يشجعون على نشر العامية بتأليف الكتب فيها كما يحدث في بعض البلاد العربية ، وتارة يهاجمون الحرف العربي ويدعون الى الكتابة بالحروف اللاتينية . ماذا اعدد ؟ ان مثل هذه اللسانس لا حصر لها . (ولقد ثبت ان التلميذ العربي الصغير يستطيع ان يفهم لغة القرآن الكريم ويتعلم بها بسهولة كبيرة لا يمكن ان تبلفها اللغة الاجنبية . فدعوى ائمة ان التعليم باللغة الفصحى لا يقل عن التعليم بلغة اجنبية باطل من اساسه ولا اظنني بحاجة الى البرهان عليه بأكثر مما قدمت .

هذا رأي المرين المتصفين . اما ما يتعلق بالناحية القومية فانه لا مجال لشك مطلقا في قيمه التعليم باللغة الوطنية العربية لغة القرآن والدين ، لغة التاريخ العربي كله . اللغة التي احتسوت امجادنا والامنا . اللغة التي رافقتنا مع الزمن في احلك لياليه واكثر ايامه اشراقا ووضوحا ، اللغة التي ارتبطت بمطامحنا وامجادنا وامالنا . .

نعم هذه اللغة الحبيبة التي عايشناها وعاشتنا وطالت صحبتنا اياها قرونا طويلة جدا لا نعرف لها اولا ولا ندرک لها نهاية ، كيف يريدون لنا ان نتركها ونستبدل غيرها بها ؟ ايلظنونها من بعض الملابس تلقى اذا رنت وتهمل اذا قدمت ؟

واذا كانت الامم الجديدة قد سبقتنا في مضمار الحضارة المعاصرة فهل يعني هذا ان نستسلم وننام ، انم يكن للفننا هذه امجادها العلمية في القرون الوسطى ؟ فلماذا لا يكون لها مثل هذه المشاركة في الحضارة الحديثة ؟ ولقد اثبت لنا التجارب امكان ذلك حين سبقت بعض البلاد فحريت ونجحت تجارحا منقطع النظير ، واصبح لنا مؤلفات علمية ذات قيمة محترمه جدا وما زلنا في اول الطريق ، فكيف لو سرنا الى المدى الفسيح قدما متعاونين ؟

ونحن في مكتب تنسيق التعريب نواصل الجهد لتفذية المسيرة العلمية بمعاجم تساعد الطلاب والمدرسين واستطعننا خلال السنوات العشر التي مضت ان ننجز معاجم على مستوى المدارس الثانوية هي : الكيمياء والفيزياء والنبات والحيوان والرياضيات والجيولوجيا واجتمع العلماء العرب في الالعام الماضي بالجزائر وتدارسوها وافروها بعد ان اجروا فيها بعض الاصلاح وهي الآن تحت الطبع وستوزع على العالم العربي كله خلال بضعة شهور .

ووضعنا معاجم اخرى سنعرضها في مؤتمر فادم ان شاء الله هي: معجم البترول ، معجم انفقه والقانون ، معجم الدم والعظام ، معجم الاقتصاد ، معجم الادارة ، الى جانب معاجم معاني كثيرة صغيرة الحجم ولكنها كبيرة الفائدة اناف عددها على العشرين وما زلنا في الطريق نعمل ونكد ونجهد مستعنيين بالله تعالى متكلمين عليه مندفعين بتشجيع اخواننا العرب ولا نلقي القلم حتى ياذن الله .

وكلنا ايمان بان هذه الامة النبيلة الاصل والفرع ، العظيمة في تاريخها الحضاري ودينها الفويم ، الطامحة الى مستقبل مشرق ، ستصل باذنه تعالى الى مرامها ، وستشارك في المسيرة الحضارية بلغة القرآن كما شاركت فيها ابان القرون الوسطى ، واذا كان فجر العرب قد انبثق فقد اضاءت له شمس الحرية الان طريقه ولن يرجع القهقري ما دام فيه من المخلصين امثالكم .

عبد العزيز بن عبدالله

مدير مكتب تنسيق التعريب بالرباط